سلسلة

بطولات النبي ﷺ

الرسول ﷺ وملك اليمامة

عبد المنعم الهاشمي

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
الإسكندرية ٥٤٥٧٢٦٩

دار القمة
للنشر والتوزيع
القاهرة: ٢٥٤١٧٦٩ ت: ٢٢٢٢٠٠٢

سلسلة

بطولات النبي صلى الله عليه وسلم

الرسول صلى الله عليه وسلم وملك الإمامة

محفوظة جميع الحقوق

رقم الإيداع
٢٠٠٤/٥٠٧٨

الترقيم الدولى
977-331-271-2

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧، ١٩ شارع جليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإمامة

الرسول ﷺ وملك اليمامة

(سيف ثمامة بن آثال)[1]

قال تعالى: ﴿ حم (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (سورة غافر: ١-٣).

تعرض الرسول ﷺ لمكر الماكرين، وخديعة المشركين، فحاكوا المؤامرات ضده، حتى فكَّروا في اغتياله والنيل منه ﷺ ولكن الله - عزَّ وجلَّ - عصمه وحماه ومنعه، عصمه من الكافرين وحماه من كيدهم ومنعه من بطشهم.

وقد أقدم على اغتياله ﷺ مئات من المشركين الجاهلين عارضوا رسالته دون أن يفكروا فيما جاء به، ودون أن يتعرفوا على ما جاء به من عدل وسماحة، وسنجد أن لكل

---

(١) «الإصابة» (جـ١، ص٢٠٤)، ترجمة رقم (٩٦١)، باب (٣١٠)، و«الاستيعاب» على هامش الإصابة.

محاولات اغتياله مآرب خبيثة، ولكن الله كان لرسوله خير حافظ، خير عاصم، وهو أرحم الراحمين.

وفي هذه القصة سنتحدث عن محاولة خبيثة ومؤامرة حاقدة كان هدفها النيل من حياة الرسول لله، قام بها سيد من سادات العرب في الجاهلية وشيخ معروف من شيوخ قبيلة بني حنيفة، التي كانت تعيش في جنوب الجزيرة.

وكان هذا الرجل ملك من ملوك اليمامة حيث الخير الوفير في ربوعها من كثرة الماء والزرع، فكانت سلة طعام قريش، يستوردون منها الذرة والشعير ليصنعوا خبزهم، فمن استطاع الاستيلاء علي مملكة اليمامة في ذلك الوقت أصاب قريشًا بجوع شديد لاعتمادها على اليمامة في طعامها.

وثمامة بن آثال ـ شأنه كشأن الملوك والسادة الذين عاشوا عصر رسول الله ﷺ ـ استقبل دعوته المباركة بالتكذيب والإعراض، فهو لا يصدِّق، ولا يسمع، بل يعارض ما جاء به رسول الله ﷺ ويهاجم كل من يقول شيئًا عن محمد ﷺ، وقد أخذته العزة بالإثم، وشغله العناد والكفر،

فأصمَّ أذنيه عن صوت الحق القادم من مكة وأعمى عينيه حتى لا ترى نور الإسلام الساطع، وتحرك حقد دفين في نفسه لما كان يعيش فيه من جاهلية وضلال شأنه شأن أهل اليمامة في ذلك الوقت، وقد كانت اليمامة تعيش الكفر والضلال في ذلك الوقت ومنهم مسيلمة الكذاب.

مضى ثمامة بن آثال يبحث عن طريقة يستطيع من خلالها أن يغتال محمداً ﷺ فيقتله ويقضي عليه كما ظنَّ، وبينما كان الناس من أمثال ثمامة بن آثال ملك اليمامة يبحثون عن طريق للقضاء على النبي ﷺ كان الرسول ﷺ يبعث بالرسل إلى الملوك والأمراء وشيوخ القبائل يحملون كتبَهُ لهم، فيستجيب الملوك والأمراء إلى هذه الرسائل المرسلة من النبي ﷺ، ومن سفراء الرسول ﷺ الذين أرسلهم للملوك الصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي ـ رضوان الله عليه ـ والذي حمل رسالة إلى ملك البحرين «المنذر بن ساوي»، ـ وقد جاء في الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي، سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإني أذكرك الله عزَّ وجلَّ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويتبعني فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية»[1].

نجد الرسول ﷺ في هذه الرسالة يدعو ملك البحرين إلى عبادة الله وحده والدخول في الإسلام، ودعوة قومه لذلك، ويدعوه إلى التسامح مع الذنوب، لأن الإسلام دين التسامح وقبول التوبة ومن ظل على دينه الآخر غير الإسلام

(١) «السيرة الحلبية» (جـ٣، ص ٧٠٠)، ط. دار المعرفة بيروت.

مثل اليهود والمشركين فعليهم الجزية، وهي مال يدفع للمسلمين كل عام.

وصل العلاء بن الحضرمي سفير رسول الله ﷺ وقدم الرسالة لملك البحرين المنذر بن ساوي وجعل ينصحه ويقول: يا منذر إنَّك عظيم العقل في الدنيا فلا تصغرن في الآخرة، إن هذه المجوسية ـ عبادة النار ـ شر وإنهم يعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة، فقال المنذر ملك البحرين: «قد نظرت في هذا الدين الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فرأيته للآخرة والدنيا، فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت».

ولقد عجبت أمس ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يرده ومعنى ذلك أنَّ المنذر بن ساوي ملكَ البحرين اقتنع بالإسلام وأحبه وأعجب به فأسلم المنذر وحَسُنَ إسلامه.

ثمامة بن آثال واعتراض طريق العلاء بن الحضرمي:

لما أسلم المنذر بن ساوي ملك البحرين عاد العلاء بن الحضرمي سفير رسول الله ﷺ إلى المدينة ليبلغ رسول الله

بإسلامه، وفي الطريق مرَّ بأرض اليمامة، التي ظهر فيها مسيلمة الكذاب، فلقيه ثمامة بن آثال ملك اليمامة، وعمه عامر بن سلمة بن عبيد الحنفي اليماني، فقال ثمامة بن آثال للعلاء بن الحضرمي: أنت رسول محمد؟

فقال العلاء: نعم. أنا رسول محمد.

فقال ثمامة للعلاء مهدداً: لا تصل إليه أبداً.. وتمنى الموت لرسول الله ﷺ، وأفصح عما في نواياه من حقد وكره للرسول ﷺ وللإسلام.

لذلك فقد نهره عمه عامر بن سلمة وعَنَّفَهُ قائلاً: مالك والرجل يا ثمامة، يقصد رسول الله ﷺ، فلمَّا بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «**اللهم اهد عامراً، وأمكني من ثمامة**»[1].

والرسول ﷺ، لا ينطق عن الهوى، ولا يقول إلاَّ حقًا، فدعاؤه مستجاب من ربِّه فقد أسلم عامر فيما بعد.

---

(١) «الإصابة» (جـ١، ص٢٠٤).

أسير في سارية المسجد:

كان ثمامة بن آثال قد تلقى كتابًا من رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام مثله مثل الملوك والأمراء، ولكنه تلقي كتاب رسول الله ﷺ بالاعتراض والازدراء والسخرية، وركب شيطانه فأغراه بقتل الرسول ﷺ.

خرج ثمامة بن آثال من أرض اليمامة قاصدًا المدينة وفي نفسه هذه النية السيئة الدنيئة لقتل رسول الله ﷺ، وفي طريقه كان كُلَّما لقي صحابيًا من أصحاب رسول الله ﷺ قام بإيذائه والنيل منه، ولما كان دعاء النبي محمد ﷺ مستجابًا فقد شاءت إرادة الله أن تمكنه منه.

فقد خرج ثمامة بن آثال ذات يوم عازمًا الطواف حول الكعبة والذبح لأصنامها كعادتهم في الجاهلية، فقد كانوا يطوفون حول الكعبة ويذبحون للأصنام التي كانوا يعبدونها.

وبينما كان ثمامة في بعض طريقه قريبًا من المدينة نزلت به دعوة محمد ﷺ، لم يكن يحسب لذلك حسابًا، فقد أضمر في نفسه باطلاً وكان أصحاب محمد ﷺ يخرجون

في سرايا حول المدينة يؤدبون الخارجين عن دعوته السامية، والمحاربين للإسلام المعادين له، ويدفعون الأذى عن صاحبهم رسول الله ﷺ، ومن هذه السرايا سرية كانت عائدة لتوها من نجد بقيادة البطل محمد بن مسلمة أحد رجال المسلمين الشجعان، فأسرت قوات السرية ثمامة بن آثال، وأتت به إلى المدينة.

قام الرجال بربط ثمامة بن آثال بسارية من سواري المسجد فخرج النبي ﷺ فقال لأصحابه: «**أتدرون من أخذتم؟**»[1]، فقالوا: لا يا رسول الله، فقال ﷺ: «**هذا ثمامة بن آثال الحنفي فأحسنوا أساره**»، ثم أقبل ﷺ على أهله في داره فأوصاهم بطعام لثمامة بن آثال، ثم أمر بناقته تحلب ويقدم لبنها إلى ثمامة.

وأقبل ﷺ قائلاً: «**ما عندك يا ثمامة؟**»، فقال ثمامة: عندي خير، إن تسأل مالاً تعطه، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن تُنعم تُنعم على شاكر.

---

(١) انظر «الاستيعاب» (جـ١، ص٢٠٥-٢٠٦).

لقد عرض ثمامة أن يدفع مالاً في سبيل إطلاق سراحه، ورجا رسول الله ﷺ ألا يقتله، وأن ينعم عليه حتى يقدم له الشكر.

فتركه رسول الله ﷺ وهو يوصي به أصحابه قائلاً: «**أحسنوا أساره**»، وتركه يومين يطعم ويشرب من لبن ناقته.

ثم جاءه مرة أخرى يقول: «**ما عندك يا ثمامة؟**».

قال ثمامة: إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت.

فتركه رسول الله ﷺ، حتى إذا كان اليوم التالي جاءه فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**».

قال ثمامة: عندي ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال أعطيتك منه ما تشاء.

نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه وقالوا: «**أطلقوا ثمامة**»، ففكوا رباطه وأطلقوه.

عودة طاهرة مباركة:

غادر ثمامة بن آثال المدينة. بعد أن أطلق سراحه رسول الله ﷺ دون أن يؤذيه أو يأخذ منه مالاً رغم إساءته للإسلام وأهله، ومضى في طريقه حتى بلغ نخلاً قريبًا من المسجد، فاغتسل ثم جاء إلى رسول الله ﷺ وشهد شهادة الحق، وقال على ملأ من الناس: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله».

ثم اتجه إلى رسول الله ﷺ وقال: يا محمد والله ما كان على الأرض أبغض إليَّ من وجهكَ فقد أصبح وجهُك أحبَّ الوجوه كلِّها إلي.

ثم أضاف قائلاً: والله ما كان دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليَّ، وقد كنت آذيت وأصبت في أصحابك دمًا فما الذي تأمرني به؟

فقال رسول الله ﷺ: **«لا تثريب عليك يا ثمامة، فإن الإسلام يجب ما قبله»**، أي أن الإسلام يعفو عما قبله.

فقال ثمامة: «يا رسول الله إن خيلك أخذتني وأنا أُريد العمرة، فمر من يسيِّرني إلى الطريق»[1].

فأمر ﷺ من يسيره الطريق، فخرج حتى إذا قدم مكة، فلمَّا سمع به المشركون جاؤوه فقالوا يا ثمامة صبوت وتركت دين آبائك.

قال: لا أدري ما تقولون إلاَّ أني أقسمت برب هذه الكعبة لا يصل إليكم من اليمامة شيء ممّا تنتفعون به حتى تتبعوا محمدًا من آخركم (أي حتى آخركم).

وكانت اليمامة مملكة ثمامة بن آثال ـ كما ذكرنا سابقًا ـ تعد مصدر مؤونة لقريش بما فيها من قمح يعدون منه خبزهم وزرع ومصادر طعام، ثم اعتمر ثمامة بن آثال وطاف حول الكعبة مسلمًا، وسعى بين الصفا والمروة على مرأى ومشهد من قريش كلها كما أمره رسول الله ﷺ أن يعتمر ويذبح تقربًا لله لا تقربًا للأصنام.

---

(١) «الاستيعاب» (جـ١، ص٢٠٦).

وعاد إلى بلادِه فأمر قومه بمنع المؤونة عن قريش، ففعلوا ومنعوا خيرات اليمامة من ـ قمح وزرع ومصادر طعام ـ عن قريش مما أصابها بالضرر والجوع، واعتبر ذلك حصاراً شديداً واجهته قريش.

ويذكرنا هذا الموقف بما فعل الكفار بمحمد في مكة عندما كتبوا صحيفة مقاطعة محمد وبني هاشم وظلوا محاصرين في الشعاب عامين كاملين. فلما فشا الجوع بينهم، واشتد عليهم الكرب. لجأوا إلى محمد ﷺ ونسوا ما فعلوه به في الأيام الخوالي، وكتبوا إليه كتاباً يقولون فيه:

إن عهدنا بك إنَّك تصل الرحم وتحض على ذلك وها أنت قد قطعت أرحامنا، فقتلت الآباء بالسيف، وأمَتَّ الأبناء من الجوع، وإن ثمامة بن آثال قد قطع عنَّا «مؤونتنا» وأضرَّ بنا فإن رأيت أن تكتب إليه أن يبعث إلينا بما نحتاج ربما فعل».

وتتجلى رحمة هذا الرجل، رحمة محمد ﷺ فكما هو رؤوف بالمؤمنين رحيم بهم، فهو الرحمة المهداة من الله

سبحانه ـ عزَّ وجلَّ ـ، وهو الذي يعلو بِخلقِه العظيم وبعفوه الكريم على نفوس الكفار والمشركين المريضة، ويتجاوز عن كل أفاعيلهم البذيئة، فلم يعد الموقف يحتمل تركهم وقد جاع أطفالهم، ولابد من درس من دروس هذا الدين العظيم، وتعريفهم أن هذا الدين هو دين التسامح والرحمة، فأمر محمد ﷺ صاحبه ثمامة بن آثال الذي أسلم وحسُنَ إسلامه، أمره أن يرسل لهم مؤونتهم من القمح والطعام، فأطاع ثمامة أمر رسول الله وعاش ثمامة وفيًا لمحمد ﷺ، حافظًا لدينه، مؤديًا لفرائضه مجاهدًا في صفوف المسلمين، بعد أن كان عدوًا للإسلام وللنبي ﷺ، وأراد أن يقتل محمدًا ﷺ، وظل ثمامة على هذه الحال حتى انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وظهر مسيلمة الكذاب يدَّعي أنه نبي بالكذب فاعترض طريقه ثمامة بن آثال وقال لقومه بني حنيفة: «إياكم وأمرًا مظلمًا لا نور فيه، وإنَّه لشقاء كتبه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على من أخذ به منكم، وبلاء على من لم يأخذ به منكم يا بني حنيفة»[1].

---

(١) «الاستيعاب» بهامش الإصابة (جـ١، ص٢٠٨).

ولكن بعض الناس من بني حنيفة في اليمامة استمعوا لمسيلمة الكذاب، وأغراهم بكذبه وكُفْرِه حتى أنه كان يهزو بكلام لا معنى له، ويقول كلامًا يدّعى بالكذب أنَّه قد أوحي به إليه، كما يوحى للنبي ﷺ ومن هذا الكلام قوله: «يا ضفدع نِقِّي ما تنقين، لا الشراب تمنعين، ولا الماء تكدرين».

فقال ثمامة: لا يجتمع نبيان في وقت واحد، وإن محمدًا لا نبي بعده، ولا نبي يُشرك معه، ثم قرأ عليهم: ﴿ حمٓ (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (سورة غافر: ١-٣).

هكذا كان يراد بالنبي ﷺ السوء فيعصمه ربه من كيد الكائدين ومؤامرات الحاقدين، والله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين.